مهمة إنقاذ

محمود سالم

مهمة إنقاذ

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

مهمة إنقاذ

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٦ ٢٦٥٧ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٣.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
معلومات عن «ع. س. ع»!	١١
ميمون ... عضو جديد!	١٥
دعوة للأخطار!	١٩
كل شيء تمام!	٢٣
مهمة عثمان الصعبة!	٢٧
عوني!	٣١
أخيرًا ... عوني!	٣٥
لقاء قرب النهاية!	٣٩

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

معلومات عن «ع. س. ع»!

لأول مرة، بدا في صوت رقم «صفر» وهو يتحدث إلى الشياطين الـ «١٣» أنه مُنفعِل جدًّا ... وقد دعاهم إلى الاجتماع، قبل أن تمُرَّ ثماني ساعات، على عودتهم من مغامرة «نهاية المطاردة».

كان رقم «صفر» يلخِّص الموقف قائلًا: لقد أخطأنا تمامًا في فهم موقف زميلنا السابق «عوني» ... لقد تصوَّرنا أنه خائن، وباعَ نفسه لعصابة «سادة العالم» ... وهكذا أرسلتكم لمطاردته حتى النهاية ... والقبض عليه حيًّا أو ميتًا ... ولكن ما حدث كان عكس تصوُّراتنا تمامًا.

انتهبه الشياطين إلى رقم «صفر» الذي استمرَّ يتحدث قائلًا: لقد قام «عوني» بعمل ينطوي على شجاعة نادرة، وعرَّض نفسه لمخاطر لا يتصوَّرها العقل، من أجل أن ينفذ إلى عصابة «سادة العالم» ... وقد بنى خطته، على أن يضعنا في أعقاب العصابة، بحيث نصل إلى معرفة مراكزها الرئيسية ... لإمكان القضاء عليها فقط.

وتنهَّد رقم «صفر» وهو يقول: وأنتم تعلمون أن هذه العصابة تحلم بحكم العالم، وأن لها فروعًا في مختلف الدول ... ولهذا، فلا بد من الوصول إلى المركز الرئيسي لها ... لإمكان تدميرها تمامًا!

واستمرَّ رقم «صفر» يقول: لقد قدَّم «أحمد» وزملاؤه تقريرًا عن مغامرتهم الأخيرة في الولايات المتحدة ... وقد درسنا هذا التقرير، خاصة الخريطة التي رآها «أحمد» عند دخوله مقر العصابة في مدينة «تاكوما» ... إننا نعتقد أن هذه الخريطة، والأزرار المُلوَّنة المُثبتة عليها، هي تحديد لأماكن مراكز العصابة ... وقد لاحظ «أحمد»، أن أحد الأزرار أكبر من بقيتها، ولهذا نرجِّح أن يكون هذا هو المقر الرئيسي للعصابة ... والغريب، أن هذا

المقر ليس في إحدى مدن العالم الكبرى مثل نيويورك أو لندن، أو باريس ... ولكنه في قلب أفريقيا!

وعلى الفور ظهرت خريطة لأفريقيا كاملةً ... ثم أخذت تتركَّز شيئًا فشيئًا، حتى أحاطت خطوط التحديد بمنطقة بحيرة «تنجانيقا»، ثم نزلت الخطوط قليلًا وحددت بحيرة «نياسا».

وجاء صوت رقم «صفر» يقول: من التفاصيل القليلة التي قالها رقم «١»، فإن خبراء الخرائط في «ش. ك. س» قد حدَّدوا منطقة البحيرات، كأقرب مكان يوجد به مقر عصابة «سادة العالم»، وسوف يصلنا تقرير بعد ٢٤ ساعة من عملائنا في المنطقة ... وحتى ذلك الوقت أرجو أن تقوموا جميعًا بدراسة كل الملفات الخاصة بالعصابة ... فقد تعثرون على معلومات تفيدكم في المغامرة القادمة.

وانسحب رقم «رقم» دون أن يحدِّد ما هي المهمة القادمة ... ولكن الشياطين الـ «١٣» أدركوا أنها ستكون في قلب القارة السوداء، المترامية الأطراف ... وأنها ستكون لإنقاذ «عوني» زميل رقم «صفر» في إنشاء منظمة الشياطين الـ «١٣»، والذي اتُّهِم ظلمًا بأنه خانَ المُنظَّمة، وانضم إلى عصابة «سادة العالم» ... وكاد الشياطين الـ «١٣» يقضون عليه ... ولكن اتضح كل شيء في الوقت المناسب.

انفضَّ الاجتماع ... وعادَ كل واحد من الشياطين إلى غرفته، ليجد ملفًا أسود اللون، عليه شريط أصفر، وبه مجموعة من الأوراق والوثائق والصور والخرائط، وكلها تدور حول نشاط هذه العصابة العاتية «عصابة سادة العالم»، والتي تتميز عن عصابة «المافيا» بأن نشاطها يمتد إلى العالم بأكمله، بينما «المافيا» تتركَّز في إيطاليا وفي أمريكا.

انهمك كل واحد من الشياطين في دراسة الملف ... ووضعت «إلهام» بعض الملاحظات على ورقة بجوارها، وكذلك فعل بقية الشياطين ... وفي المساء اجتمعوا في القاعة الزرقاء حيث توجد خرائط تفصيلية للعالم كله ... وطلب «أحمد» من خبراء قسم الخرائط وضع علامات على الأماكن التي ظهر فيها نشاط العصابة ... وقد اختصر اسمها إلى «ع. س. ع» بدلًا من «عصابة سادة العالم».

وعندما ظهرت الخرائط المضيئة، اتضح للجميع أن «ع. س. ع» قد شمل نشاطها مختلف دون العالم.

ثم جاء التركيز على أفريقيا، حيث يتوقع رقم «صفر» أن يكون المقر الرئيسي هناك ... ومن المعلومات القليلة التي وضعها «أحمد» في تقريره، تركَّزت الأبحاث حول بحيرة

«نياسا»، وهي بحيرة مستطيلة الشكل تقع في جنوب شرق أفريقيا، وتمتد داخل ثلاث دول إفريقية هي: «موزمبيق» و«ملاوي»، و«تنزانيا»، وعلى مسافة نحو ٨٠٠ كيلومتر من شاطئ المحيط الهندي.

وبدأ أحد المحاضرين يصف للشياطين نوع الحياة في هذه المنطقة، وعادات السكان، وأنواع الأمراض ... ومعلومات كثيرة هامة يحتاجها المسافر إلى هذا المكان.

وبعد هذا بدأ الشياطين يدلون بملاحظاتهم التي خرجوا بها من الملفات.

كانت الملاحظات الرئيسية على «ع. س. ع» كالآتي:

(١) ليس للعصابة رئيس واحد، ولكن رؤساء مناطق في مختلف قارات العالم.

(٢) القرارات الرئيسية تُتخذ في اجتماع رؤساء المناطق.

(٣) «ع. س. ع» تسيطر على أجزاء من اقتصاديات بعض الدول، وتتحكم في أسواق السلع الاستراتيجية مثل الحديد، والصلب، والنحاس، والبترول.

(٤) لـ «ع. س. ع» عملاء مُستتِرون، بعضهم من رجال الأعمال، وبعضهم يشغلون مناصب مهمة.

(٥) الأعمال القذرة «الديرتي ورك» تقوم به مجموعة من المجرمين المحترفين، تم تغيير أسمائهم بحيث لا يمكن التوصُّل إلى تاريخ حياةِ كلٍّ منهم.

(٦) تملك «ع. س. ع» جميع أنواع الأسلحة، بما في ذلك طائرات صغيرة مُزوَّدة بأسلحة خفية.

(٧) تعتبر «ع. س. ع» أن مهمتها الرئيسية هي القضاء على منظمة الشياطين الـ «١٣» التي هزمتها في أكثر من جولة.

وعندما بدأ الشياطين في وضع هذه النقاط موضع الدراسة، جاءت برقية من قسم المعلومات، وقرأها «أحمد» على الفور:

إلى «ش. ك. س» ...

ضبط رجال الحدود في «ملاوي»، كمية ضخمة من الأسلحة مختلفة الأنواع، مُهرَّبة من «تنزانيا» عبر الحدود بين الدولتَين ... وقد دارت معركة عنيفة بين رجال الحدود والمهربين ... انتهت بهرب المهربين، بعد أن تركوا خلفهم الأسلحة ... وتم القبض على واحد منهم، ونشرت الجرائد المحلية صورته ... وقد تأكد لدينا أنه واحد من عصابة «سادة العالم».

وقد قمنا بالتحري عن عملية التهريب، واتضح لنا أن عصابة «سادة العالم»، تقوم بتهريب كميات ضخمة من الأسلحة إلى منطقة بحيرة «نياسا» ... ولكن السلطات المحلية في المنطقة لم تستطع العثور على مخزن الأسلحة. كما رفض المقبوض عليه الاعتراف بأي شيء.

وبعد أن قرأ «أحمد» البرقية ساد الصمت لحظاتٍ، ثم مضى الشياطين يناقشون المعلومات ... ولكن لم تمضِ نصف ساعة حتى وصلت برقية أخرى من قسم المعلومات، تحمل نبأً هامًّا.

لقد استطاعت العصابة تهريب الرجل الذي قُبض عليه، وبهذا انقطع الخيط الذي كان من الممكن أن يؤدي إلى الوصول إلى «ع. س. ع».

قال «أحمد»: يجب أن نسرع؛ فإن الأحداث لا تنتظر!

وهكذا بدأ الإعداد للسفر.

ميمون ... عضو جديد!

كان الشياطين جميعًا مُتحمِّسين للمهمة ... فإن إقدام «عوني» على التضحية بحياته، في سبيل منظمة الشياطين، جعل من إنقاذه مهمة مقدسة ... وقد تم تركيز البحث حول وسيلة الوصول إلى قلب أفريقيا بطريقة خفية ... ثم البحث المكثَّف في هذه المناطق الاستوائية الحارة، عن شيء، أو خيط يدلُّهم على مكان أستاذهم «عوني».

وكانت «الضفدعة» ... وهي الطائرة التي ذهبوا بها إلى «أيسلندا»، قد عادت ... ونظرًا لأن ركوبها يختصر وقت انتظار الطيران التجاري العادي، فإن «أحمد» قرَّر الاستعانة بها مرة أخرى، في رحلة أفريقيا ... ولكن الخبراء في منظمة الشياطين قالوا إن طائرة «هليكوبتر»، ستكون أفضل بكثير، لأنها لا تحتاج إلى مطار، ومن السهل التنقُّل بها بين الأحراش، والغابات.

ولكن المشكلة أن الطائرة «الهليكوبتر» لا تقطع مسافات طويلة، نظرًا لأن سرعتها هي نصف سرعة الطائرة العادية، وتحتاج إلى وقود في أماكن متقاربة ... وقد حلَّ الخبراء هذه المشكلة، بعد أن قاموا باتصالات كثيرة مع عملاء رقم «صفر» في أفريقيا، وثم الاتفاق على إعداد طائرة «هليكوبتر»، تكون قريبة من منطقة بحيرة «نياسا» لاستخدامها في التنقُّل في قلب القارة الخضراء.

وتم اختيار فريق السفر، من «أحمد» و«عثمان» و«بو عمير» و«خالد» فقط ... وحدث لأول مرة، أن تم اختيار قرد، مُدرَّب تدريبًا جيدًا يُدعى «ميمون» ... وذلك بعد نجاح تجربة اختيار الكلاب في المغامرة السابقة.

وقد اجتمع الشياطين الأربعة مع «ميمون»، وأخذوا في التدريب على التعامل معه، ثم أخذه «عثمان» إلى غرفته، ليتعوَّد على النوم قريبًا منه.

كان «ميمون» قردًا ذكيًّا ... فأخذ «عثمان» يطلب منه طلبات محدَّدة ... هاتِ هذا القميص يا «ميمون» ... افتح هذه الحقيبة ... اجلس هادئًا ولا تتحرك ... ادخل في هذا الدولاب ولا تُحدِث صوتًا.

وشعر «عثمان» بأنه لا يكاد يصدِّق نفسه ... فقد كان القرد ينفِّذ التعليمات، وكأنه يعرف اللغة العربية ... ومن المؤكَّد أن خبراء التدريب في «ش. ك. س»، قد درَّبوه جيدًا.

فتح «عثمان» دفتر التعليمات الصغير الذي أرسلوه خاصًّا بالقرد ... وأخذ يقرأ ما فيه متعجِّبًا ... فقد تدرَّب هذا القرد على اتباع التعليمات بدقة، بما في ذلك دخول الأماكن المظلمة ... والتدخل في المشاجرات ... وإطلاق النار من المسدس!

وضحك «عثمان» كثيرًا ... ولكنه أحب «ميمون»، واعتبره صديقه ... واتصل بـ «أحمد» وقال له: إننا لسنا أربعة فقط ... إننا خمسة ... إن هذا القرد «ميمون» شخصية في غاية الروعة!

«أحمد»: لا تنسَ أن تأخذ معك كُرَتك الجهنمية «بطة»، فسوف تحتاج إليها في الغابات!

«عثمان»: لقد أعددتُ ثلاثًا منها ... فمن المؤكد أننا سنضرب عشرات المرات!

وفي صباح اليوم التالي، كان الشياطين الأربعة، ومعهم «ميمون»، قد استعدوا للرحلة، فتسلموا الخرائط الجوية والمساحية ... ووضعوا الأسلحة ... وقفز «ميمون» إلى الطائرة ببساطة، واختار مقعدًا كأي راكب، ثم ربط الحزام.

ولم يصدق «خالد» ما يرى وقال: غير معقول ... إنه قرد طائر ... شيء مدهش!

وسارت الطائرة داخل المدرَّج السري في المطار في قلب الجبل ... وعندما وصلت إلى الخلاء، كانت قد استجمعت سرعتها، ثم قفزت إلى الجو، وأخذت تصعد تدريجيًّا بقيادة «عثمان» و«خالد» ... بينما جلس «أحمد» و«بو عمير» يدرسان الخرائط.

بعد أربع ساعات من الطيران المتصل، تجاوزت الطائرة حدود الصحراء، وبدأت النباتات السوداء تظهر على بُعد سحيق ... وبدَت الأنهار كأنها ثعابين من فضة تتلوى بين الأشجار.

وقال «عثمان»: يجب أن نقترب من أحد المطارات للتزوُّد بالوقود ... إن كمية الوقود التي نحملها تكفينا خمس ساعات فقط!

«خالد»: إن أقرب مطار لنا الآن هو مطار «أديس أبابا»!

«بو عمير»: إذَن سنتجه إليه!

وبدأت الطائرة تتجه شرقًا ... وأخذت تهبط تدريجيًّا من ارتفاع ٢٨ ألف قدم إلى ٢٠ ألف قدم ... ثم ظلَّت تطير في خط مستقيم حتى اقتربت من العاصمة الإثيوبية، وأخذت

الاتصالات تجري بين «بو عمير» وبين المطار ... وسرعان ما أخذ الإذن بالنزول ... وبدأ يهبط مرة أخرى تدريجيًّا، حتى لامست العجلات أرض المطار، وأخذت تجري مسرعة حتى توقفت.

أسرعت سيارة الوقود إلى الطائرة ... كما صعد إليها بعض مهندسي الصيانة ونزل الشياطين الأربعة ومعهم «ميمون».

كانت درجة الحرارة مرتفعة للغاية ... ووقفوا على أرض المطار في انتظار تموين الطائرة، ولكن «بو عمير» اقترح أن يدخلوا إلى مبنى المطار، لتناول بعض الأطعمة والمرطبات ... فاتجهوا جميعًا إلى «كافيتريا» المطار.

لم يلفت «ميمون» أنظار العاملين في المطار ... فالقرود كثيرة جدًّا في إثيوبيا ... وهكذا جلس الأربعة ومعهم القرد وقد طلبوا له بضع أصابع من الموز، وعصير المانجو ... وقد أقبل عليها بسعادة بالغة.

فجأةً نظر «أحمد» إلى شخص يَعْبر «الكافيتريا»، خارجًا بسرعة ... ولم يكن هناك شك في أن «أحمد» قد رأى هذا الشخص في مبنى «ع. س. ع» في مدينة «تاكوما» ... وأسرع «أحمد» خلف الرجل ... واستطاع أن يلمحه يقف مع شخص كان في انتظاره ... ثم غادرا مبنى الكافيتريا مُسرعين، بعد أن نظر الرجل إلى «أحمد» نظرة شاملة.

فكَّر «أحمد» لحظات ... هل يتبعهما؟ إن ترتيب الرحلة سوف يضطرب، إذا فعل هذا ... ثم إن الخروج من المطار والعودة إليه، سوف يستغرق بعض الوقت ... فعاد إلى زملائه وروى لهم ما حدث.

انتهوا من تناول الطعام والمرطبات ... وعادوا إلى الطائرة ... كان «أحمد» مشغول البال ... فقد وضعتهم المصادفة في طريق العصابة ... ونظر من زجاج النافذة إلى أرض المطار وكم كانت دهشته عندما شاهد ثلاثة رجال يجرون على أرض المطار متجهين إلى طائرة خاصة كانت في انتظارهم، وعرف في أحد الرجال الثلاثة، ذلك الشخص الذي رآه في «الكافيتريا»، فقد كانت ملابسه البيضاء بالكامل، بما في ذلك حذاؤه، لافتة للنظر.

قرَّر «أحمد» أن يقود الطائرة بنفسه، بمساعدة «بو عمير» وقال له: إن الرجل، ومعه رجلان آخران، يركبون الآن طائرة خاصة ... إنها من طراز «دوجلاس»، وهي أقوى من طائرتنا، وأقدر على المناورة!

بو عمير: هل تتصور معركة جوية؟

أحمد: مع هؤلاء، أتصوَّر أي شيء.

غادرت الطائرة المدرج ... وكانت الرياح تهب بشدة على أرض المدرج، وتعاكس مثل هذه الطائرة الصغيرة ... ولكن «أحمد» استطاع ببراعة، أن يصعد بالطائرة سريعًا، ثم يدفعها إلى فوق، حتى استطاع أن يصعد بها فوق السحاب.

مرَّت نصف ساعة هادئة، وبدأت مخاوف «أحمد» تهدأ، وعاد للاتجاه غربًا في طريقه إلى دار السلام في «تنزانيا»، وهي المحطة الأخيرة للطائرة الضفدعة، قبل أن يجدوا الطائرة «الهليكوبتر».

ولكن ... لحظات وانتهى الهدوء ... ففجأة برز من الجانب الأيمن شبح طائرة كنقطة صغيرة في الأفق ... أخذت تتجه سريعًا إلى «الضفدعة»، ثم انحرفت يسارًا، وارتفعت إلى فوق.

كان «أحمد» طيَّارًا مُدرَّبًا ... أدرك على الفور ما يحدث ... إن الطائرة المعادية تريد أن تصعد فوقه، أو «تركبه» بلغة الطيران، ليسهل عليها ضربه من فوق ... ولم يكن في استطاعة طائرته الصغيرة أن تصعد إلى أكثر من ٣٠ ألف قدم ... وهكذا هبط سريعًا إلى السحاب، واختفى فيه.

كانت مخاطرة ... فهو لا يرى إلا على بُعد أمتار قليلة أمامه ... ومن الممكن في هذه المنطقة الجبلية الوعرة، أن يصطدم بأحد الجبال الشاهقة. ولهذا قرَّر أن ينزل ثم يصعد ... وهكذا فعل ... وأخذ الشياطين جميعًا يراقبون محاولاته للفرار.

ولكن فجأة، في إحدى مرات الصعود ظهرت الطائرة المعادية ... ودار «أحمد» دورة واسعة سريعة، ثم صعد في خط عمودي، واستطاع بهذه المناورة أن «يركب» الطائرة المعادية، ثم فتح نيران مدفعه الرشاش الأيمن على الطائرة التي أصيبت عدة إصابات، ولكنها استطاعت أن ترتفع بسرعة رغم ذلك، في محاولة ركوب الضفدعة.

دعوة للأخطار!

قامت الطائرة المعادية بالهجوم رغم إصاباتها ... فعاد «أحمد» ينزل إلى تحت ... وغاص في السحاب الأبيض ... وطار فترةً طيرانًا أعمى معتمدًا على جهاز الرادار، في تجنُّب الاصطدام بالجبال ... وفجأةً ظهرت الطائرة المعادية في مواجهته مباشرة، فرفع جناحه الأيمن، ومرق منها ... ثم استدار، وصوَّب عليها نيرانه ... وفي نفس الوقت الذي شاهد فيه الطائرة المعادية تشتعل فيها النيران، أحسَّ بجناح طائرته يصطدم بشيء ما ... واهتزت الطائرة بعنف. وأخذت تدور حول نفسها ... وتشبَّث الشياطين بمقاعدهم ... وأخذ «ميمون» يصرخ ... وبدا واضحًا أن المحرِّك الأيمن قد توقَّف عن العمل ... ولم يعُد أمام «أحمد» إلا الهبوط في أي مكان.

رفع الجناح المصاب إلى أعلى ... ثم نزل سريعًا، ليبحث عن مكان يهبط فيه قبل أن تشتعل النيران في الوقود، رغم أنه أغلق الصمام الذي يوصل الوقود من الجناح إلى المحرك.

كانت الطائرة تهتز بعنف و«أحمد» يحاول السيطرة عليها ... وأخذت تهبط كالصاروخ في اتجاه الأرض، وهو يبحث عبثًا عن مكان مناسب بين أشجار الغابات الكثيفة ... ولكن، لم يكن هناك سوى حل واحد ... الصعود إلى أقصى ارتفاع ثم القفز بالمظلات.

أصدر تعليماته إلى الشياطين في كلمات موجزة: استعدوا للقفز!

وأسرع «عثمان» يربط المظلة في «ميمون» ... ووقف الجميع، وهم يمسكون بالمقاعد حتى لا يسقطوا ... ودفع «أحمد» بالطائرة إلى فوق.

استخدم كل ما يمكن من مهارته وهو يقول: هيا أيتها الضفدعة ... حاولي من أجل خاطري.

ولم ترُدَّ الضفدعة ... صعدت بأقصى ما تُمكِن من قوة.

وقال «أحمد» في مكبر الصوت: سنجتمع عند النقطة «س» عند التقاء خط العرض ١٠ وخط الطول ٤٠ ... إن هذا المكان قريب جدًّا من مدينة «لندي» ... ومَن يصل أولًا ينتظر.

وارتفعت الطائرة وهي تبذل جهدها الأخير ... وصاح «أحمد»: هيا!

وفتح «بو عمير» باب الطائرة وقفز «خالد» ... ثم «عثمان» و«ميمون»، ثم أسرع «أحمد» وترك الطائرة وهو يودِّعها متحسِّرًا ... وقفز إلى الفضاء العريض.

كان «عثمان» يحاول أن يرصد المظلة البيضاء التي حملت «ميمون» ... لقد أحب هذا القرد المدرب الذكي، وخشي أن يفقده في أحراش الغابات الكثيفة، ولم يكن يتصور ما سيحدث بعد ذلك.

نزل «عثمان» على مجموعة من الأشجار العالية، اشتبكت مظلته بالأغصان العريضة ... وكان نزوله كوَقْع الصاعقة على طيور وقرود الأشجار، التي أسرعت تفر، وهي تطلق صيحات الفزع.

وجد نفسه في شبكة من الأغصان، وقد التفَّ قماش المظلة في أماكن متعدِّدة وتمزَّقَ ... وأخذ جاهدًا يحاول تخليص نفسه من هذا الفخ العجيب، ولكن عبثًا؛ فكلما حاول ازداد تخبُّطًا كأنه وقع في شبكة عنكبوت ... وكانت الشمس قد مالت للمغيب، وبدأت الحيوان المفترسة تزأر في الغابة.

وأحسَّ «عثمان» برعبٍ لأول مرة في حياته، إنه وقع في مشكلة حقيقية؛ فقد انكسر الغصن الذي تعلَّق به ... ووجد نفسه قد انقلب ووجهه إلى أسفل ... بينما بقية المظلة مُعلَّقة في الأغصان العالية ... كان معه عدد من الأجهزة الصغيرة التي تساعده على تحديد اتجاهه وأسلحة خفيفة ... ومدَّ يده لإخراج سكين يستعين بها على قطع حبال المظلة ... وقد اشتدَّ الظلام، وارتفعت صيحات الوحوش في أرجاء الغابة.

كان مشغول البال بزملائه، وبالقرد «ميمون» الذي فقد أثره ... واستطاع أن يصل إلى السكين ... ولكنه اكتشف أنه إذا قطع الحبال فربما سقط من هذا الارتفاع الكبير، وربما كانت سقطته على الأرض، فيتهشَّم أو يقع فريسة لأحد وحوش الغابة ... فأخذ يعدل مكانه تدريجيًّا، بحيث يستطيع أن يجلس أو يتمدَّد ليقضي الليل في مكانه ... ثم يبدأ في الصباح في البحث عن النقطة «س»، كما حدَّدَها «أحمد» عند التقاء خط عرض ١٠ وخط طول ٤٠ ... قرب «لندي».

وبعد ساعةٍ أحسَّ أنه جوعان، ولكن لم يكن معه أي طعام ... وتصوَّرَ ليلة طويلة بلا أكل فتنهَّد ... ولكن في هذه اللحظة حدث ما لم يكن في الحسبان ... سمع صوتًا قريبًا

منه ... صوت شيء يقفز، وتصوَّر أنه أحد الطيور الكبيرة، أو الحيوانات المتسلِّقة ... ولكن آخر ما كان يمكن أن يتصوَّرَه حدث ... فقد سمع صوت قزقزة بجواره ... وشفاه طرية تلتصق بوجهه، وشاهد، رغم الظلام، العينين الذكيتين البراقتين للقرد «ميمون» تُحدِّق فيه.

أحسَّ «عثمان» بالسعادة تغمره ... ولم يكن في استطاعته إلا أن يقبِّل الوجه الضاحك، وهو يصيح من فرط الفرح: «ميمون» «ميمون»!

أخذ «ميمون» يقفز حول «عثمان» في سعادة، ولما عرف أن صديقه لا يستطيع الفكاك من حبال المظلة والأغصان المتشابكة، قام بعدة حركات سريعة هابطًا صاعدًا، وسرعان ما كان قد فكَّ كلَّ حبال المظلة.

واستطاع «عثمان» أن يعتدل في جلسته، ثم يجلس مستقيمًا ... وفي دقائق قليلة كان قد تخلَّص من الفخ الذي وقع فيه.

لم يكن «عثمان» مُصدِّقًا ما حدث ... وأخذ يقول لميمون: كيف فعلتها؟ كيف عرفت مكاني؟ كيف وصلت إلى هذا المكان؟

وكانت الإجابات التي يتلقَّاها بعد كل سؤال، هي المزيد من القُبلات وبعض «الصوصوات» غير المفهومة.

أشار «عثمان» إلى فمه، وأخذ يشرح لـ «ميمون» أنه جائع، وقد فهم «ميمون» على الفور ... فطلبُ الطعام من أبسط التمارين التي تلقاها، ثم إن «عثمان» ضيفه الآن ... أليس هو ابن الغابة؟

وقفز «ميمون» مبتعدًا، وأعدَّ «عثمان» لنفسه مكانًا مريحًا بين الأغصان، يقضي الليل فيه.

ولم تمضِ دقائق حتى عاد «ميمون» يمسك بإحدى يدَيه ثمار الموز، وبالأخرى الأناناس ... وجلس الاثنان يتناولان طعامهما كأيِّ صديقَين قديمَين ... وبعد انتهاء وجبة الطعام الشهية استلقى «عثمان» على ظهره، وسرعان ما استسلم للنوم في حماية القرد الذكي القوي.

تسلَّلَت أشعة الشمس المبكِّرة على الغابة، واستيقظ «عثمان»، ولدهشته الشديدة وجد «ميمون» جالسًا أمامه وقد أعدَّ مجموعة من فاكهة الغابة الطازجة، وكأنه يُعِدُّ طعام الإفطار ... واشترك الصديقان في تناول الفاكهة الباردة الحلوة ... وقال «عثمان» في نفسه: إنها أجمل وجبة تناولتها في حياتي.

وبدأ العمل ... أخرجَ «عثمان» الخرائط وأخذ يبحث عن مكانه، وعن النقطة «س» التي تقرَّر أن يلتقي عندها بالشياطين.

وبعد استخدام البوصلة، وبعمليةٍ حسابية، اكتشف أنه يبعد عن النقطة «س» التي تقع قرب مدينة «لندي» بحوالي ٤٠ كيلومترًا ... وهي مسافة يمكن أن يقطعها في عشر ساعات إذا استطاع أن يسير بسرعة ٤ كيلومترات في الساعة في الغابة الكثيفة.

وجمع «عثمان» حاجياته في حقيبته للظهر والتي يربطها إلى كتفَيه، ثم بدأ ينزل وأمامه «ميمون» يسبقه كأنه صاروخ ... كان «ميمون» سعيدًا جدًّا بعودته إلى الغابة ... وعندما نزلا إلى الأرض، وقف «عثمان» لحظات يحدِّد اتجاهه ... ثم أشار إلى «ميمون» أن يتجه إلى الناحية التي سيسيرون فيها.

كانت حيوانات الغابة قد استيقظت من رقادها الطويل ... وبدأت تمرح في الغابة ... وكان «ميمون» يسير متقدِّمًا ... فإذا وجد أنه ابتعد عن «عثمان» كثيرًا، عاد إليه مرة أخرى.

استمرَّ السير في الغابة حتى وصلا إلى حدودها، وخرجا إلى الفضاء المكشوف، حيث تمتد حشائش «السفانا» إلى مدى البصر ... لا يقطعها بين مسافة ومسافة إلا الأشجار.

كانت منطقة حافلة بالأسود ... فحسب معلومات «عثمان» أن الأسود تعيش على حدود الغابات في مناطق السفانا ... كما تعيش على حدود الصحاري ... وأعدَّ «عثمان» بندقيته للإطلاق، ثم انطلق يمشي وقد بدأت حرارة الشمس ترتفع ... وقدَّر أنه لن يستطيع الوصول إلى النقطة «س» قبل حلول الظلام.

مضت الساعات ... وعند الساعة الثانية أحسَّ أنه مُتعَب، وأنه جوعان، فجلس مكانه، وأغفى قليلًا. ولكن فجأةً، انطلقت صيحة «ميمون» مُحذِّرة.

واستيقظ «عثمان» على أصابع «ميمون» تجذبه من ذراعه، وفتح عينَيه على وجه أسد لا يبعد عنه أكثر من عشرة أمتار.

كل شيء تمام!

كان الأسد جميل الشكل ... مهيب الطلعة ... يمسح شفتَيه بلسانه وتنعكس أشعة الشمس على عينَيه الذهبيتَين، فينعكس عنهما شعاع أشبه بالنار ... وأمسك «عثمان» ببندقيته، وتمدَّد على بطنه، واستعدَّ لإطلاق النار ... ولكنَّ شيئًا في نفسه كان ضد قتل هذا الحيوان المهيب ... وقرَّر ألَّا يطلق النار، إلا إذا هاجمه الأسد.

فتح الأسد فمه وكأنه يتثاءب، ثم أدار رأسه ومضى ... إنه حيوان لا يهاجم الإنسان، إلا إذا هاجمه الإنسان ... أو إذا طعن في السن، ولم يعُد في استطاعته مهاجمة حيوانات الغابة السريعة، فقد يهاجم الإنسان ... استراح «عثمان» لهذه النتيجة ... وعاد يجلس بجوار الشجرة في انتظار انكسار حرارة الشمس القاسية ... وقام «ميمون» بإمداده بالفاكهة الطازجة.

عاود السير مهتديًا بالشمس والبوصلة والخرائط ... ومالت الشمس إلى المغيب، وما تزال هناك أكثر من ساعة من السير المتصل ... ورغم أنه كان مُتعَبًا، فقد استمرَّ في السير حتى وصل إلى نهير صغير، فأسرع يغتسل ويبرِّد قدمَيه الملتهبتَين ... و«ميمون» يقفز حوله، ويجري إلى الأمام، ثم يعود ... ويصرخ ويتشقلب في مكانه، ثم يجري ... وأدرك «عثمان» أن «ميمون» يريد أن يوصل إليه رسالة ما، فتبعه مسرعًا ... ودخلا إلى غابة صغيرة كثيفة الأشجار ... وسرعان ما اشتمَّ «عثمان» رائحة شواء تأتي مع الريح ... كان جائعًا ... وتمنَّى قطعةً من اللحم المشوي، وقفز «ميمون» إليه، وأمسكه من يده وأخذ يجره إلى الأمام، كأنه يستعجل شيئًا ما.

وصل «عثمان» إلى ساحة صغيرة مكشوفة وسط الغابة الكثيفة، وشاهد نارًا مُوقَدة عليها لحم يُشوى ... وكان الشياطين الثلاثة ... «أحمد» و«خالد» و«بو عمير» يجلسون ...

توقَّف لحظاتٍ قبل أن يلفت انتباههم ... ولكن القرد «ميمون» لم يستطع الانتظار، وقفز إلى الشياطين الثلاثة وهو يصرخ فرحًا وسعيدًا.

التفتَ الثلاثة إلى «عثمان»، وقفزوا مرة واحدة ... وتبادل الجميع السلام، وحكى لهم «عثمان» عن مغامرته الصغيرة، والدور الذي لعبه «ميمون» في إنقاذه، ثم اقتطع قطعة كبيرة من لحم الغزال المشوي وغرس فيها أسنانه ومضى يمضغ، وهو يستمع إلى قصص الشياطين الثلاثة، عن رحلتهم عَبْر الغابات للوصول إلى النقطة «س».

قال «أحمد»: لقد اتصلت بقاعدة الطائرة الهليكوبتر ... وهي على مسافة نحو تسعين كيلومترًا من هنا ... وقد اتفقتُ مع قائد الطائرة أن أعاود الاتصال به بمجرد وصولك!

عثمان: هل تأخرنا عن جدول العمل؟

أحمد: ليس هناك أي تأخير ... فنحن في انتظار معلومات أكثر عن مكان العصابة في هذه المساحات الشاسعة، من الغابات والأنهار ... وكلما زادت معلوماتنا، كان اقترابنا من العصابة، مُحدَّدًا وفعَّالًا!

وقام «أحمد» بالاتصال بالطائرة الهليكوبتر، وتم الاتفاق على أن تصل فجر اليوم التالي، إلى النقطة «س»، خارج الغابة الصغيرة التي يعسكر فيها الشياطين الأربعة.

قضى الشياطين و«ميمون» سهرة مُمتِعة حول النار ... وقد أبدى القرد الذكي مهارة مُذهِلة في فهم المطلوب منه، حتى إن «خالدًا» علَّق قائلًا: إننا يمكن أن نعتبره الشيطان رقم «١٤»!

عثمان: لا تتصوَّر إلى أي حدٍّ أحبُّ هذا الحيوان ... لقد أنقذ حياتي ثم قام بخدمتي كأفضل ما تكون الخدمة.

وعندما نام الشياطين، ظلَّ «ميمون» مستيقظًا، رابضًا على فرع شجرة قريب، ثم عندما اطمأنَّ إلى نوم أصدقائه تمامًا، أخذ يقفز فرحًا بين فروع الأشجار، وسرعان ما وجد مجموعة من القردة انضمَّ إليها، وعاش ليلةً وسط أقاربه.

قبل أن تبزغ الشمس، استيقظ «خالد» ونظر حوله، ووجد «ميمون» قد جمع كمية رائعة من الفاكهة، وأخذ يقفز حولها سعيدًا. وأيقظ «خالد» بقية الزملاء، وتناولوا إفطارًا شهيًّا، ثم شربوا الشاي، ولم يكد الشياطين ينتهون من إفطارهم، حتى سمعوا صوت الطائرة الهليكوبتر، فأسرعوا يجمعون حاجياتهم ويخرجون إلى خارج الغابة، حيث اختاروا بسرعة مكانًا لنزول الطائرة وأخذوا يشيرون إليها، حتى هبطت بسلام على الأرض.

نزل قائد الطائرة، وكان شابًّا زنجيًّا، باسم الوجه، قوي العضلات، وقدَّم نفسه للأصدقاء: «موامبا»!

وقدم «أحمد» نفسه وزملاءه إلى الشاب المبتسم، ثم اجتمعوا حول خريطة أخرجها «موامبا» وأخذ يشير بإصبعه قائلًا: على بُعد ٤٠٠ كيلو تقع بحيرة «نياسا» وقد اتصل بي «كوجوكو» — وهو الاسم الحركي للعميل رقم «صفر» — وقال لي: إن هناك تحركات غير عادية في الجزء الشمالي من البحيرة، حيث تقع مستعمرة للرجال البيض محاطة بأسوار، وممنوع الاقتراب منها … وبجوار المستعمرة، بحيرة عميقة، حولها بعض الفيلات الفاخرة، ولا يستطيع أحد أن يقترب من هذه البحيرة، التي تبدو وكأنها مكان لتجارب بحرية هامة، لا يعرف أحد حقيقتها.

أحمد: وما هو أنسب مكان للنزول فيه؟

موامبا: يجب أن ننزل بعيدًا قَدْر الإمكان عن المستعمرة والبحيرة … فإن «كوجوكو»، أخبرني أن لديهم رادارًا قويًّا يمسح المنطقة ليل نهار … وأن عندهم عددًا من طائرات الهليكوبتر المسلحة!

«أحمد»: بمناسبة الهليكوبتر المسلحة … ما هو نوع التسليح في المستعمرة؟

موامبا: إن كمية الأسلحة التي تصل إلى هذه المستعمرة كما يقول «كوجوكو»، غير معقولة … فهناك يوميًّا تقريبًا قافلة من عربات النقل، وأحيانًا طائرات النقل تحمل أسلحة من كل نوع، بما في ذلك الدبابات والمدافع، إلى هذا المكان.

أحمد: إن هذه المعلومات من أهم ما يمكن … وسنترك لك حرية اختيار المكان المناسب، للنزول بعيدًا عن المستعمرة بمسافة كافية!

موامبا: لقد درستُ المكان قبل أن آتي إليكم … واخترتُ غابة صغيرة، بجوار نهر يصبُّ في بحيرة «نياسا»!

أحمد: عظيم … وهل لك زملاء يمكن الاعتماد عليهم!

موامبا: إنني من قبيلة قوية في المنطقة، ونحن على استعداد لأداء أي خدمة لكم، فإن «كوجوكو» من زعماء قبيلتنا، وهو شخص محبوب جدًّا منا جميعًا!

أحمد: شكرًا مُقدَّمًا لك يا «موامبا» … وسنتحرك الآن!

قام «بو عمير» بإخفاء آثارهم في المكان، حتى لا يتعرف أحد على خط سيرهم … ثم قفزوا إلى الطائرة، التي حلَّقَت على الفور، متجهة غربًا إلى قرب بحيرة «نياسا»!

استغرقت الرحلة نحو ساعتين، على ارتفاع منخفض، أتاح للشياطين رؤية حيوانات الغابة وهي تتحرك في حياتها اليومية … قطعان الأفيال الضخمة … أسراب الزراف والغزلان … النمور والفهود … ولم يُضيِّع «خالد» الفرصة فقد استخدم آلة التصوير السينمائي في

تصوير مشاهد نادرة ... منها هجوم مجموعة من الذئاب على جاموسة وحشية خرجت من قطيعها ... وقد ذهل الأصدقاء لقوة الجاموسة، التي استطاعت إصابة ثلاثة ذئاب إصابات كبيرة!

وقال موامبا: إن الجاموس الوحشي من أقوى حيوانات الغابة ... ومن الصعب على أي حيوان من حيوانات الغابة مهاجمة جاموسة وحشية ... خاصةً إذا كانت ضمن القطيع.

وأخيرًا حومت الطائرة حول غابة صغيرة غاية في الجمال ... بجوارها نهر صغير.

وقال «بو عمير» مُعلِّقًا: إنها جنة صغيرة على الأرض!

وأدار «موامبا» مقود الطائرة بمهارة، وارتفعت زوبعة من الأعشاب عندما هبطت الهليكوبتر على الأرض.

نزل الأصدقاء ... وكانت مفاجأة رائعة أن وجدوا «موامبا» قد أعدَّ لهم كوخًا جميلًا للإقامة ... وأخذ «ميمون» يقفز فرحًا بالمكان، فقد كانت أغصان أشجار الغابة، حافلة بالقرود الذين سرعان ما انضمَّ إليهم ... وأخذ يتراقص فرحًا على الأغصان العالية.

قال «أحمد»: سنبقى حتى الغروب، وسنتحرك للاقتراب من المستعمرة!

موامبا: لقد أعددتُ لكم بعض النظارات المكبرة القوية، ومن الممكن مراقبة المستعمرة وما يجري فيها، من أماكن خفية فوق قمم التلال.

أحمد: إنني أشكرك كثيرًا يا «موامبا» ... لقد أسديتَ لنا خدمات رائعة.

وأسرع الأربعة إلى التلال التي أشار إليها الشاب الأفريقي ... وسرعان ما تسلقوا التل، واستلقوا على قمة التل، وأخذوا يراقبون ما يحدث بعيدًا.

مهمة عثمان الصعبة!

أخذ كلٌّ واحد من الشياطين يراقب جانبًا من المستعمرة التي بدت ألوانها الزاهية واضحة في وسط الأحراش الخضراء ... وكانت مكوَّنة من مبنى رئيسي مستطيل الشكل، كأنه علبة كبريت ضخمة قد رقدت على جنبها ... وبجواره، على مسافات متساوية، عدد من الفيلات ... وكان السور مكوَّنًا من الأسلاك الشائكة المترابطة على أعمدة من الطوب، وبين كل مسافة وأخرى مركز للمراقبة تطل منه فوهة مدفع رشاش.

كان واضحًا أنه حصن صعب الاقتحام ... وأنه لا بد من استعمال الحيلة للاقتراب والدخول ... وعقد الأربعة اجتماعًا.

وقال «أحمد»: لا بد من استخدام «موامبا» للدخول ... وما دام من هذه الناحية، وهو من أبناء قبيلة قوية، فلا بد أنه يعرف أحدًا من الزنوج الذين يعملون في المستعمرة.

واستدعى «عثمان» «موامبا»، وسأله «أحمد»: هل تعرف أحدًا ممَّن يعملون في هذه المستعمرة؟

موامبا: إن لي قريبًا يُدعى «موشنجا»، يعمل سائقًا على إحدى سيارات النقل، ولكن لا يسمح له بالاقتراب ... فقط يصل بالسيارة، ثم يخرج ولا يعود، إلا بعد تفريغ الشحنة، التي لا يعرف أحد ما بها، إلا أصحاب المستعمرة!

أحمد: هذا ما نريده بالضبط ... إننا نريد أن يدخل «عثمان» إلى المستعمرة ... إنه أسمر مثلكم، ولن يعرف أحد مَن هو؟

موامبا: هل تريده أن يحل محل «موشنجا»؟

أحمد: نعم.

موامبا: ولكنهم يعرفون «موشنجا» ... والأسهل أن يقفز «عثمان» إلى السيارة ويختبئ في الصندوق!

أحمد: لا بأس!

موامبا: إذَن سأذهب وأرى متى تأتي القافلة التالية.

أحمد: بدلًا من إضاعة الوقت ... سيذهب «عثمان» معك!

واستعدَّ «عثمان» بجهاز لاسلكي صغير لكنه قوي، وبعض الأسلحة الخفيفة ... وقال: وهل آخذُ «ميمون» معي؟

أحمد: لا ... سنحتاجه للدخول!

عثمان: كيف؟

أحمد: عندي فكرة سأنفِّذها إذا لم تنجح!

وحاول «ميمون» أن يذهب مع «عثمان» ... وأخذ يقفز ويصرخ ولكن الشياطين الثلاثة أمسكوه ... وقال له «أحمد»: اجلس هنا يا «ميمون» إننا في حاجة إليك!

وأطاع «ميمون» وجلس حزينًا ساهمًا ... وانصرف «موامبا» و«عثمان» وسرعان ما اختفيا بين الأحراش.

لم تمضِ نصف ساعة على انصراف «موامبا» و«عثمان» حتى هطلت الأمطار بشدة ... والتفت الغابة في ثوب من المياه المنهمرة، واختبأ الشياطين الثلاثة في الكوخ الصغير.

ظلَّت الأمطار تهطل مدرارًا ... واختفت الشمس، وأظلم المكان ... ولم يكن هناك ضوء، سوى الأقراص المشتعلة التي يستخدمها الشياطين في هذه الحالة ... فتضيء إضاءة خفيفة، وعلى نيرانها يعدُّون الشاي، ويتناولون طعامهم الخفيف.

وفي السادسة مساءً كان كل شيء قد غرق في مياه الأمطار، ولم تصل إشارة واحدة من «عثمان»، بينما جلس «ميمون» في جانب الكوخ، وقد أصابه حزن شديد.

قال «خالد»: إني قلِق ... ماذا حدث؟

أحمد: لا أدري ... كان يجب أن يتصل «عثمان» ... ولكن ...

وقبل أن يكمل جملته سمعوا طرقًا على باب الكوخ ... ثلاث طرقات ... ثم طرقتين، ثم طرقة واحدة.

وأسرع «أحمد» يفتح الباب، وظهر على عتبته «موامبا» وقد ابتلَّت ثيابه، وبدا عليه الإرهاق.

نظر إليه الشياطين نظرة استفسار فقال: هناك قافلة ستدخل المستعمرة في منتصف الليل، وقد تركت «عثمان» مع «موشنجا»، الذي قال لنا إن الحراسة مشدَّدة ... ومن الصعب أن يقفز «عثمان» إلى السيارة. ولكن «عثمان» عندما عرف أنها سيارات نقل من النوع

الكبير، فقد قرَّر أن يختبئ أسفل السيارة. وقد أعددنا له شبكة قوية يمكن ربط أطرافها أسفل صندوق السيارة، ليتمدد فيها.

تنفَّس الشياطين الصعداء ... وقدَّم لهم «موامبا» شيئًا من سعف النخيل، وجدوا به طعامًا دافئًا ... وقد أسعدهم هذا كثيرًا، وشكروا الشاب وانهمكوا جميعًا في الطعام.

انتهت نوبة المطر في الثامنة تقريبًا، وصعد إلى السماء قمر صغير، أضاء بعضًا من جوانب الغابة المظلمة، وأخذ الأربعة ينزحون المياه التي زحفت إلى الكوخ، وبعد أن أتموا مهمتهم تمدَّدوا، في انتظار رسالة «عثمان» اللاسلكية، بينما قفز «ميمون» إلى الخارج دون استئذان واختفى.

حاول «خالد» متابعة «ميمون»، ولكن كان ذلك عبثًا، فقد اختفى القرد الذكي في تلافيف الغابة الكثيفة، لقد أحب «عثمان» وقرَّر البحث عنه حيث يكون ... ورغم أن ذلك يُعَدُّ خروجًا على قواعد الانضباط، ولكن عواطف «ميمون» كانت أقوى من القواعد.

قبل منتصف الليل بقليل، سمع «بو عمير» جهاز الاستقبال يُطلِق صفيرًا خفيفًا ... فأسرع إليه، وسمع على الطرف الآخَر صوت «عثمان» يتحدَّث: من رقم «٢» إلى ش. ك. س ... لقد وصلت القافلة ... وقد قام «موشنجا» بربط الشبكة أسفل السيارة. وبعد دقائق سوف أكون داخل المستعمرة!

بو عمير: لقد هرب «ميمون» ونعتقد أنه يبحث عنك!

عثمان: إنه يقف على فرع شجرة قريب مني ... لقد حضر منذ ساعة، ولكني طلبت منه أن يبقى بعيدًا!

بو عمير: متى تأتي؟

عثمان: سأتصل بكم لأحدِّد المكان الذي يمكن الدخول منه.

مضت ساعة تقريبًا، ثم بدأ جهاز الإرسال يطلق صفيره، وسمع «بو عمير» «عثمان» يقول: إنني أتحدث من أسفل السيارة ... سوف نجتاز بوابة الدخول بعد قليل ... استعدوا.

وتهيأ الشياطين للعمل.

وقال «أحمد»: اسمع يا «موامبا» ... إنني أريدك أن تذهب إلى «كوجوكو» ... قل له على ما حدث ... فإذا لم تستطع الخروج حتى الصباح، فسوف نتصل به لاسلكيًّا لنحدِّد موقفنا!

موامبا: دعوني أدخل معكم!

أحمد: شكرًا ... إن مهمتك هي إنقاذنا إذا حدث ما لا نتوقع!

وخرج «موامبا» مسرعًا، وصفَّر جهاز الإرسال.

وتحدث «عثمان»: لقد اجتزت البوابة منذ دقائق، إنني أتحدث من خلف إحدى الفيلات ... إن عليها حراسة قوية أكثر من البقية، وقد يكون «عوني» فيها ... سأتصل بعد لحظات ... ولكن عليكم بالتحرك الآن!

بدأ الثلاثة في التحرُّك بسرعة ... واختار «أحمد» أن يتجهوا إلى مكان بعيد عن البوابة، حيث تشدَّدت الحراسة ... كان الليل في الغابة مهيبًا، وقد سكن كلُّ شيء عدا أصوات الحيوانات الصغيرة، وهي تفر مذعورة كلما مروا بها ... وكان كلٌّ منهم يحمل سلاحًا، يشبه «السونكي» يقطع به الأغصان التي تعترض طريقه ... وبعد مسيرة نصف ساعة أشرفوا على نهاية الغابة الصغيرة، وتوقفوا عند المنطقة الجرداء، حتى لا يكشفوا تحرُّكاتهم قبل أن يتصل «عثمان».

مضت بضع دقائق، وصفَّر جهاز الإرسال.

وسمع «بو عمير» صوت «عثمان»: لقد تأكدت من وجود «عوني» في المكان الذي حددته ... فقد شاهدته من خلال الزجاج متمدِّدًا على فراش صغير ... ويبدو أنه مريض فإنه لا يتحرك ... وهو موثق اليدَين والقدمَين!

وتوقَّفَ «عثمان» لحظات ثم قال: إن الشحنات كلها أسلحة ... وهم يُخفونها في مخازن سرية تحت الأرض ... عليكم بالالتفاف حول البحيرة الصغيرة. ثم تقدَّموا عند منتصف المسافة بين طرفَي السور ... إن هذه المنطقة الخلفية ليست مسورة ... ولكن عليها حرَّاس ... حارس كل عشرة أمتار تقريبًا ... سأكون في انتظاركم خلف الفيلا رقم «٤» من اليمين.

اتجه الثلاثة يسارًا ... ثم مضوا يمشون مسرعين ... وقد أحنوا رءوسهم بحيث أخفتهم الأعشاب ... وبعد بضع دقائق كانوا يدورون حول المستعمرة التي تناثرت أضواؤها في الظلام ... وأصبحوا خلف الفيلا رقم «٤» ... وفجأةً قفز شيء أمامهم، ورفعوا مسدساتهم ... ولكن هذا المخلوق لم يكن سوى «ميمون»، الذي أمسك بذراع «أحمد» وأخذ يجذبه بشدة.

عوني!

مشى الثلاثة على حذر خلف القرد، الذي وقف في ظل إحدى الأشجار، وأخذ يشد ذراع «أحمد» ... وتنبَّه «أحمد» على الفور إلى ما يريد القرد ... لقد كان يلفت انتباهه إلى حارس، كان يقف على بُعد أمتار قليلة ... ووضع «أحمد» يده على رأس «ميمون» من تعليمات المدرب.

أشار «أحمد» إلى «بو عمير» و«خالد» بإصبعَين، ففهما أنه يريد حركة كماشة حول الحارس. فاتجه أحدهم يسارًا، والآخَر يمينًا، ثم اقتربا من الحارس في هدوء شديد، وانقضَّ عليه «خالد» بضربة قوية، بينما تلقَّفه «بو عمير» بين ذراعَيه، وجذبه بعيدًا، وألقاه بين الأعشاب.

تقدَّم الثلاثة، حتى أوصلهم «ميمون» إلى حيث يقف «عثمان»، الذي قال في همس: كونوا على حذر من مياه البحيرة الصغيرة ... إنها تعج بالتماسيح!

ثم قال: إنهم مشغولون الآن بتفريغ الأسلحة، والفرصة مواتية جدًّا لإنقاذ «عوني»!

أحمد: إن «ميمون» يمكن أن يقوم بدور هام ... لقد قادنا إليك ... هل يمكن أن يدخل الفيلا؟

عثمان: لقد فكرت في نفس الشيء ... إنه يمكن أن يدخل من مدخنة المطبخ!

أحمد: لقد فكرت في نفس الشيء!

خالد: الأفضل أن نتخلص من أكبر عدد من الحراس في هذه الفرصة، وكلما استطعنا التخلص من واحد ... نقص عدد الأعداء.

ووافق الشياطين ... وانتشروا مسرعين في الظلام ... وأخذ الحرَّاس يتساقطون هنا وهناك ... كانت الضربات مُحكَمة ... وكان الشياطين يتحرَّكون بسرعة كأنهم أشباح لا

تُرى ... وبعد عشر دقائق كان أكثر الحراس يرقدون على الأرض ... ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان. فقد دقَّ جرس إنذار قوي، وأُضيئَت الأنوار الكاشفة، وبدأت حركة غير عادية في المستعمرة ... وأسرع الشياطين الأربعة يختفون خلف الأشجار والحشائش ... وأسرع «ميمون» يقبع فوق الشجرة التي وقف خلفها «عثمان».

شاهد الشياطين الفيلا التي بها «عوني» وقد تحوَّلَت إلى خلية نحل وأُضيئَت الأنوار القوية حولها ... ثم شاهدوا أربعة رجال يحملون نقَّالة رقدَ عليها «عوني» ثم لاحظ «بو عمير» أن الرجال الأربعة، قد وصلوا بالنقَّالة إلى حافة البحيرة الصغيرة، ونزلوا بضع درجات ... ثم اختفوا.

أطلق «بو عمير» صيحة البومة، وفهم الشياطين الثلاثة أنه يريدهم أن يجتمعوا، فأسرعوا إليه.

وقال «بو عمير»: ثمة مخبأ تحت البحيرة لقد نزلوا بـ «عوني» هناك!

خالد: وماذا سنفعل؟

ساد الصمت ... بينما الحراس المسلَّحون يجرون هنا وهناك.

وقال «أحمد»: نريد بعض ملابس الحرَّاس!

عثمان: هناك ما يكفي ويزيد ... فقد صرعنا منهم نحو عشرة!

أحمد: في هذا الاضطراب، لن يشك أحد فينا ... هيا!

وأسرعوا إلى حيث كان الحراس المُغمى عليهم ... وأسرع كل واحد منهم يرتدي زي الحراس الخاص، ويضع القبعة الخاصة به.

وعندما اجتمعوا بعد لحظات ... قال «أحمد»: سننزل نفس السلالم التي شاهد «بو عمير» الرجال يحملون «عوني» إليها!

كان «ميمون» يراقب كلَّ شيء ... وأخذ يقفز ليصل مع الشياطين، الذين اتجهوا مسرعين إلى السلالم ... وقد نجحت خطة «أحمد» ... فلم يلتفت إليهم أحد.

كان ثمة حارس يقف تحت السلالم، شاهرًا مدفعًا رشاشًا ... ونزل «أحمد» إليه، بعد أن أرخى القبعة على وجهه ... ولم يتوقَّع الحارس أبدًا أن هذا الشاب في ملابس الحرَّاس يمكن أن يكون من ألدِّ أعدائه ... وعلى كلٍّ حالٍ، لم يترك له «أحمد» فرصة للتخيُّل، ولا للتفكير ... فقد اقترب منه وهو يحمل مدفعًا رشاشًا مثل الذي يمسكه ... وبحركة سريعة كالبرق كان قد وجَّهَ إلى الحارس ضربة قوية، جعلت عينَيه تجحظان ... ثم يقع كأنه غرارة من التبن.

تناول «أحمد» المفاتيح من حزام الرجل، ثم فتح الباب الصلب المتين، ولم يكَد يفتحه حتى سمع صوتًا يشبه هدير البحر ... وأحسَّ برائحةٍ نفَّاذة، تشبه رائحة الملح والعطن ... وأطلق صيحة البومة، ونزل الشياطين الثلاثة ومعهم «ميمون».

ولكن «عثمان»، طلب منه أن ينتظر عند الباب، وينبِّههم لأيِّ خطر.

حاول «ميمون» أن يعترض ... ولكن «عثمان» كان حاسمًا وواضحًا ... وقفز «ميمون» إلى شاطئ البحيرة العالي مرةً أخرى، وتسلَّق سور الفيلا الرئيسية وقبع على السطح.

نزل الأصدقاء في سرداب ضخم، مُقام من الصلب الأسود، مُضاء بأنوار خافتة ... ساروا في شكل رقم «٤» بحيث يحمي كلٌّ منهم الآخَر ... كان السرداب طويلًا، ولا تبدو به أية أبواب، فقد أخذوا يجرون بسرعة في اتجاهات مختلفة، على أمل أن يجدوا مكانًا يبدءون منه البحث عن «عوني» ... ولكن عبثًا؛ فقد كانت الدهاليز متداخلة ... وكلها صماء ... وصوت هدير المياه يرتفع كلما اقتربوا من النهاية.

وقف «أحمد» وتوقَّف الشياطين الثلاثة، ورفع «أحمد» سلسلة المفاتيح التي استولى عليها من الحارس، وأخذ ينظر إليها مدقِّقًا ... كان بها ثلاثة مفاتيح متشابهة ... تشبه حرف «تي» T الإنجليزي ... وفي طرفها الأسفل تجويف ... واستنتج «أحمد» على الفور أن هذه المفاتيح خاصة بنوع من الأبواب الخفية في جدران الدهليز.

وقال «أحمد» للشياطين: ابحثوا عن ثقوب مربَّعة في الجدران.

وانتشر الشياطين يتحسَّسون الجدران ... وفجأةً سمعوا صوت أقدام تأتي من دهليز تتقاطع مع الدهليز الرئيسي ... فاجتمعوا في شكل طابور، وأخفوا وجههم بالقبعات، ثم ساروا في شبه عسكرية ... وظهر رجلان ... أحدهما مسلَّح، والآخَر يلبس ملابس غريبة، أشبه بملابس الغوَّاص ... واقترب الاثنان من الشياطين ... وسعل «أحمد» ببساطة ... وفهم الشياطين الثلاثة أنها دعوة لهجوم ... وهاجموا.

وكانت النتيجة معروفة مُقدَّمًا؛ فقد سقط الرجلان في بساطة تحت وقع الأيدي الثقيلة ... وتلقَّفَ «أحمد» الرجل الذي يلبس ملابس الغواصين ... كان قد ضربه ضربةً خفيفة، أفقدَته الرشد دقيقةً واحدة، وعندما أفاق شاهد عينَين قاسيتَين تنظران إليه.

قال «أحمد»: اسمع ... تحدَّث فورًا وإلا ... أين «عوني»؟!

بدا الرعب في عينَي الرجل، ولكنه ظلَّ صامتًا ... وأمسك «أحمد» بكفه، ثم ثناها إلى الخلف، فأطلق آهةً موجعة.

وقال «أحمد» بشراسة: أين «عوني»؟

أشار الرجل إلى نهاية الدهليز، وعندما حوَّل «أحمد» عينَيه إلى حيث يشير الرجل، انتهزها الرجل فرصة وضرب «أحمد» بكل قوته في ساقه بقدمه الثقيلة ... وجرى.

كان «عثمان» و«بو عمير» و«خالد» يفتِّشون الدهاليز للبحث عن الأبواب الخفية ... فلم يلاحظوا ما حدث.

ولكن «أحمد» لم يطلق النار على الرجل وصاح: «عثمان» ... «بطة».

وأخرج «عثمان» كُرته الجهنمية، ثم رفع ذراعه وقذفها بكل قوته، ومضت منطلقة كالقذيفة خلف الرجل ... وأصابته في رأسه، وسقط على الأرض.

قال «أحمد»: شكرًا ... لم أُرِد إطلاق النار حتى لا أثير ضجة.

ثم تحسَّس ساقه ... وكان الألم مُبرحًا، ولكن لم يكن هناك وقت للالتفات إلى هذه الآلام.

صاح «بو عمير»: وجدت ثقبًا!

وأسرع «أحمد» إليه ... وتحسَّس الثقب بإصبعه ... كان مُربَّعًا، وهذا يعني أن المفتاح يمكن أن يدور فيه ... وسرعان ما جرَّب المفاتيح ... وكان المفتاح الثالث مناسبًا ... وأدار المفتاح ... وكانت مفاجأة. كانت ثمة غرفة كلها من الزجاج السميك ... أما المستطيل المواجه للباب فيه فتحات صغيرة عليها مناظير غريبة الشكل ... وخلف الزجاج بدا ماء البحيرة الصغيرة ... وعلى قاع البحيرة انتشرت مجموعة من البراجيل الشفافة ... بداخلها أدوات دقيقة كالعدادات وغيرها.

قال «أحمد»: تجارب جديدة على قاع البحر!

عثمان: أية تجارب؟

أحمد: لا أدري ... إنهم يعملون في مشروع جهنمي آخَر!

بو عمير: هل ترى ... هناك سُلَّم في آخِر الضلع الأصفر!

خالد: وشخص بملابس الغوص!

أحمد: يبدو أننا دخلنا قاعة مراقبة ... ولكن الوقت ضيِّق ... هيا بنا!

أخيرًا ... عوني!

خرج الأربعة وأغلقوا الباب خلفهم ... ثم مضوا إلى حيث أشار الرجل الذي قذفه «عثمان» بكُرته الجهنمية، ومرة أخرى بحثوا حتى وجدوا الثقب المُربَّع، وجرَّب «أحمد» المفاتيح ... ولم يكَد الباب يفتح حتى سمعوا صوت الرجل يصيح من الألم ... وفي دقائق نشبت معركة خرافية بين الشياطين الأربعة، وبين أربعة رجال، كانوا يحيطون بـ «عوني» المُلقى على الفراش، يجرِّبون معه أقسى ألوان التعذيب.

انقضَّ كل واحد من الشياطين الأربعة على أحد الرجال ... وطارت الأيدي والأقدام، وارتفعت الأجسام، ثم هوت على الأرض الصلبة ... ونزلت ضربات كالمطارق على الرءوس ... لقد كان الشياطين في غاية القوة على هؤلاء الوحوش، الذين كانوا يضربون رجلًا مريضًا، يوشك أن يموت.

ولاحظ الشياطين أن هناك بابًا آخَر، وسرعان ما كان «أحمد» ينحني على «عوني» قائلًا: أستاذ «عوني»!

وفتح الرجل عينَيه وبدت فيها نظرة غير مُصدِّقة وأخذ يتنفَّس بعمق وكأنه قادم من القمر.

عاد «أحمد» يقول: أستاذ «عوني»!

وغاب الرجل عن وعيه ... وأسرع الأربعة يحملون النقَّالة ... ثم يغادرون المكان ... ولكن «أحمد» صاح بـ «عثمان»: سنحمله أنا و«خالد» فقط ... اسبقنا أنت و«بو عمير».

ومضى الأربعة، اثنان في المقدمة ... واثنان يحملان «عوني»، ومشوا سريعًا بعد أن قرَّر «أحمد» الاتجاه إلى الغرفة الزجاجية، لإخفاء عوني فيها. وعندما وصلوا إليها، قام «بو عمير» يفتحها ثم أدخلوا «عوني».

وقال «أحمد»: «خالد» ... ستبقى مع «عوني». احرسه حتى ننظِّف طريقنا إلى الخارج.

وخرج الثلاثة مسرعين ... اختار «أحمد» بابًا غير الباب الذي دخلوا منه ... كان يفتح على طريق جانبي بجوار البحيرة ... وما كاد يفتح الباب حتى ألقى بنفسه على الأرض ... فقد انهالت الطلقات عليه!

ولكن «بو عمير» أنهى المشكلة بدفعة من مدفعه الرشاش ... ثم صعد الثلاثة إلى سطح الأرض ... كانوا بجوار الفيلا الكبرى ... التي كان واضحًا أنها المقر الرئيسي لهذه المستعمرة الغامضة.

كانت الأضواء لا تزال مُضاءَة ... وأخذ «أحمد» ينظر حوله إلى نهاية البحيرة الصغيرة، ولاحظ على الفور أن منسوبها أقل من منسوب البحيرة الكبيرة.

فقال «أحمد»: هل تلاحظان ... إن مياه البحيرة الصغيرة أقل ارتفاعًا من مياه البحيرة الكبيرة.

عثمان: وماذا يعني هذا؟

أحمد: يعني شيئًا واحدًا ... أن مياه البحيرة الكبيرة «نياسا»، تتدفَّق إلى البحيرة الصغيرة من خلال فتحات يمكن التحكُّم فيها ... أي إنه يمكن تقليل منسوب المياه أو زيادته في البحيرة الصغيرة ... فإذا لاحظت أن جميع شواطئ البحيرة الصغيرة مصنوعة من الأسمنت والحديد، عرفت على الفور أنها بحيرة صناعية.

عثمان: بحيرة بهذه الضخامة صناعية!

أحمد: ممكن ... وأعتقد أننا مُقبِلون على مجموعة من المفاجآت العلمية!

عثمان: وماذا بشأن «عوني»؟

أحمد: إنني أريد أولًا أن أعثر على مخزن المفرقعات الموجود هنا!

«بو عمير»: لقد رأيت على أحد الأبواب السرية علامة خطر جدًّا ... وهذا يعني أنها، إما كهرباء عالية الضغط ... وإما مفرقعات!

أحمد: اذهب وتأكَّد ... وأنت يا «عثمان» اذهب إلى «عوني» واحمله إلى هنا مع «خالد» ... سأنتظر حتى تحضرون جميعًا!

ووقف «أحمد» في الظلام بجوار مجموعة ضخمة من الصناديق الفارغة ... من الواضح أنها أُفرِغَت من حمولتها ... وفجأةً وجد «ميمون» يقفز بجواره، ثم يمسك بيده ويجره ناحية غرفة مضاءة في الفيلا الرئيسية ... وأحنى «أحمد» رأسه، ومضى حتى وقف بجوار النافذة ... وسمع حركة مفاجئة ... ثم صراع وصوت «ميمون» يزمجر ... واستطاع أن

يرى «ميمون» في الظلام مشتبكًا في صراع مع رجل ... فأسرع إليه ... وبضربة سريعة من فوهة المدفع الرشاش سقط الرجل ... وأخذ «ميمون» يقفز حوله كأنه ملاكم قد انتصر على خصمه.

ونظر «أحمد» من خلال الزجاج ... وشاهد غرفة لم يشاهد مثلها في حياته ... غرفة إدارة المستعمرة ... كانت هناك عشرات من شاشات التليفزيون تغطِّي كلَّ ركن في المستعمرة ... وعشرات من أجهزة الكمبيوتر ... والتحكُّم الآلي ... والأتوماتيكي ... وأربعة رجال يفحصون جزءًا مُعيَّنًا من المكان ... ولدهشته الشديدة شاهد «عثمان» و«خالد» يحملان «عوني» من الغرفة ويخرجان ... وكان الرجال الأربعة يوجِّهون ذراعًا انعكست صورته على الشاشة ... كانت فوهة ... استنتج «أحمد» على الفور أنها فوهة غاز سام، إذا انطلق يقتل الثلاثة على الفور ... وعرف أن أسقف جميع الحجرات أسفل البحيرة مزودة بثقوب، يمكن إطلاق النار من خلالها ... ولأن «عثمان» و«خالد» كان يجريان بسرعة، فلم يتمكن الرجال الأربعة من توجيه النار بشكل مباشر.

لم يتردَّد «أحمد» لحظة واحدة عندما شاهد على الشاشة «عثمان» و«خالد»، وهما يحملان «عوني» قد انحرفا إلى ممر صغير، يمكن التحكم في إطلاق النار فيه.

ضرب الزجاج بفوهة المدفع، ثم صاح: أي حركة سأطلق النيران على الفور!

التفت الرجال إليه في ذعر، فألقى نظرة سريعة على المكان، وشاهد بابًا في نهاية غرفة التحكُّم ... أشار إليه وقال: ادخلوا هنا.

وأسرع الرجال الأربعة في رعب ... وفتح أحدهم الباب ...

صاح «أحمد»: قِف!

ودار وهو لا يحول عينَيه داخل غرفة التحكُّم، ثم نظر إلى الغرفة ... ولحسن الحظ لاحظ أنها مُغلَقة بإحكام من جميع الجوانب وصاح آمِرًا: ادخلوا!

ودخل الرجال الأربعة ... وأسرع يغلق عليهم الباب.

أسرع «أحمد» إلى شاشة التليفزيون، وشاهد «عثمان» و«خالد» يصعدان السلم، عند المكان الذي كان يقف فيه.

كان عليه أن يتصرف بسرعة، فدارَ يكسر كلَّ الأجهزة بمدفعه، ثم انطلق جاريًا ... وكان «ميمون» يسبقه.

التقى «أحمد» بـ «عثمان» و«خالد» في الوقت المناسب، وأشار «أحمد» إلى «ميمون» قائلًا: هل تستطيع الخروج بهما؟

وأخذ القرد يقفز في اتجاهات مختلفة عندما ظهر «بو عمير» وهو يلهث قائلًا: إنها غرفة مفرقعات!

أحمد: عظيم ... نريد أن نضع أكبر كمية من المفرقعات، في أماكن متفرِّقة من هذا المكان ... خاصة في الأنفاق التي تحت البحيرة ... إنها بحيرة صناعية ... وأعتقد أن مخازن الأسلحة التي ترد إلى هذا المكان، تُخبَّأ في مخازن تحت البحيرة ... إن هذه البحيرة الصناعية هي بالتأكيد أكبر مشروع لعصابة سادة العالم!

بدأت الأرض تهتز فجأة ... وقفز «أحمد» من مكانه قائلًا: إنهم يقومون بزلزال صناعي محدود ... هيا بنا!

وجروا جميعًا وهم يحملون «عوني». كان «أحمد» و«بو عمير» في المقدمة ... وخلفهما «خالد» و«عثمان» ... وكان القرد «ميمون» يقفز حولهم ... يسبقهم أحيانًا ... ويعود إليهم أحيانًا أخرى ... والأرض تهتز وهم يجرون بأقصى سرعة، ثم سمعوا صوت انفجارات تقترب منهم ... كانت مدفعية خفيفة تطلق قذائفها بالعشرات.

وصاح «أحمد»: يطلب الانبطاح في أقرب حفرة ... وانبطحوا جميعًا ... وأخذت القنابل تقترب.

وقال «أحمد» في غضب: لقد وقعنا في فخ ... سنقفز إلى مياه البحيرة!

وأسرعوا بالرجل المريض والقنابل تقترب ... وتقترب ... حتى إذا وصلوا إلى مياه البحيرة، نزلوا فيها، مسرعين، وهم يلهثون ... وأخذت القنابل تتساقط حولهم.

وفي هذه اللحظات الحرِجة ظهر «موامبا» ومعه مجموعة من الرجال الأشداء ... جاءوا سابحين في البحيرة.

قال «أحمد»: «موامبا»؟

وأجاب الشاب الضاحك: «نعم!»

أحمد: خذوا هذا المريض وأخفوه عندكم!

موامبا: وأنتم؟

أحمد: نحن لن نغادر هذا المكان إلا إذا قضينا عليهم ... أو قضوا علينا!

وأسرع «موامبا» ورجاله، يحملون «عوني» عبر مياه البحيرة.

وقال «أحمد»: سنبدأ الهجوم!

لقاء قرب النهاية!

أشار «أحمد» إلى الشياطين الثلاثة فغطسوا في المياه العميقة ... وظلوا نحو دقيقة يعومون بسرعة ثم عادوا إلى السطح، واقتربوا من الحافة القريبة ... كانت القنابل قد توقفت ... وساد صمت مريب.

وقال «أحمد» لـ «بو عمير» القريب منه: إنهم يتوقعون أن نظلَّ نبتعد، فإذا هاجَمْنا فاجأناهم ... هل حدَّدتَ مكان غرفة المفرقعات؟

بو عمير: نعم!

أحمد: إذَن، هيا بنا!

ودار الأربعة حول المستعمرة دورة واسعة ... وكان «ميمون» يسبقهم ... وسرعان ما اقتربوا من المكان.

فقال «عثمان»: يجب ألا ننزل من السلالم العادية، فلنحاول الدخول من إحدى النوافذ!

أحمد: إن نافذة غرفة التحكُّم مهشَّمة ... فقد كانوا يديرون خنقكم بالغاز فتدخلت!

عثمان: إذَن ندخل منها ... إننا في حاجة إلى أسلحة جديدة ... إن هذه الأسلحة قد ابتلَّت!

أحمد: إن غرفة التحكُّم فيها مجموعة بديعة من الأسلحة.

واقتربوا من النافذة المحطَّمة ... كان الظلام يخيِّم على الغرفة، ودخل «أحمد» أولًا ... وكانت لحظة قاتلة؛ فقد أُضيئَت الأنوار فجأة، فأعشَتْ عينَيه ... وسمع صوتًا يقول: لقد سبَّبتم من الازعاج ما يكفي.

وعندما تعوَّدت عيناه على الضوء، شاهد ثلاثة رجال يرتدون ملابس غاية في الأناقة ... كان أحدهم في نحو الخامسة والخمسين من عمره، نحيفًا ولكن تبدو عليه خمائل القوة والقيادة، وكان هو المتحدِّث فعاد يقول: أين زملاؤك؟

ردَّ «أحمد»: لا أدري؟

الرجل: أنت تكفي فسوف يأتي الباقون لإنقاذك!

كان الآخَران يقفان في اعتدادٍ ... وقد أمسك كلٌّ منهما بمسدَّس ضخم!

قال «أحمد»: بحيرة صناعية تخفي مخازن الأسلحة!

الرجل: ما رأيك؟

أحمد: إنه إنجاز عظيم!

الرجل: أين «عوني» ... هذا الخائن الأكبر؟

أحمد: إنه في مكان أمين!

الرجل: لقد استطاع أن يخدعنا فترة طويلة ... وعندما اكتشفنا حقيقته رفض أن يتحدث ... ولكنك ستتحدث!

أحمد: عن أي شيء؟

الرجل: عن مؤسسة الشياطين ... لقد كسبتم عددًا من الجولات معنا، وقد آن الأوان أن نكسب جولة ... وها نحن قد تقابلنا أخيرًا!

سمع «أحمد» صوت «ميمون» خارج النافذة، ولكن الرجال الثلاثة لم يهتموا بصوت قرد ... فالغابة حافلة بالقرود.

أحمد: إذَن فأنت الزعيم!

الرجل: ليس لنا زعيم واحد ... إن هناك زعماء مناطق ... وهم الذين يقرِّرون سياسة المنظمة!

أحمد: تقصد العصابة!

تلوَّن وجه الرجل بعد هذه الجملة وقال بغضب مكتوم: إننا نعمل من أجل إنقاذ البشرية!

أحمد: هكذا يقول أكثر المجرمين!

تقدَّم أحد الشابين الواقفين من «أحمد» ورفع يده ليضربه، ولكن «أحمد» تجنَّب الضربة ببراعة، ثم هوى على الشاب بضربة، جعلته يختنق ويترنَّح في أرجاء الغرفة.

قال الرجل موجِّهًا كلامه للشاب الآخَر: هكذا تمنيت أن أراكم ... إن هؤلاء الشبان في غاية الكفاءة!

ثم التفت إلى «أحمد» وقال: هيا بنا!

أحمد: إلى أين؟

الرجل: سنغادر هذا المكان حتى يتم تطهيره، وسنركب طائرة الي «الخرطوم». وهناك سوف يتم الحصول على المعلومات منك، فإن «عوني» رفض أن يتكلم!

أحمد: وهل تظن أنني سأتكلم؟

الرجل: سنرى ... هيا بنا!

وأشار الشاب بمسدسه إلى «أحمد» وفي هذه اللحظة قفز «ميمون» إلى الغرفة قفزة واسعة، ونزل بثقله على الشاب فاختلَّ توازنه ... وانتهز «أحمد» الفرصة، وانقضَّ على الشاب وأداره بيده اليسرى، ثم وجَّه إليه بيده اليمنى ضربةً أسقطته أرضًا. وعندما التفتَ ليبحث عن الرجل الذي كان يتحدث معه لم يجده ... وذهل ... فهو لم يغِبْ عن عينَيه سوى لحظات قليلة، ونظر إلى أرض الغرفة، ووجد فتحة واسعة، وشاهد سُلَّمًا ينزل تحت الأرض.

أسرع «أحمد»: بالنزول إلى الفتحة، فقد أدرك من حديث الرجل، أنه أحد زعماء المناطق، وسيكون من المفيد حقًّا لمنظمة الشياطين أَسْره ... ولكن في هذه اللحظة دوَّى انفجار عنيف اهتزَّتْ له جدران الغرفة. وأخذ «ميمون» يدور كالمجنون حول «أحمد»، ويشده من ذراعه ... وأدرك «أحمد» أن «بو عمير» قد نفذ التعليمات وبدأ في تفجير المستعمرة، فخرج من الفتحة مرة أخرى، وأخذ «ميمون» معه، وأسرع يغادر الغرفة من النافذة.

أخذت الانفجارات تتوالى و«أحمد» و«ميمون» يجريان في محاولةٍ للبُعد عن مراكز الانفجارات. وفجأةً سمع «أحمد» هدير مياه تتدفَّق كالعاصفة ... وعندما نظر حوله على أضواء الفجر البعيدة، شاهد البحيرة الصناعية وقد انهار أحد جوانبها، تقذف بمياهها بقوة تجتاح في طريقها المستعمرة، محدثة خرابًا ودمارًا شديدَين.

أخذ يجري مبتعدًا وهو يقول في نفسه: لقد أسرف «بو عمير» في استخدام الديناميت!

توقف «ميمون» بعد فترة، وأمسك بذراع «أحمد» وجذبه بشدة، وكانت حركة في الوقت المناسب فقد قفز نمر ضخم من فوق إحدى الأشجار، في نفس المكان الذي كان «أحمد» يسير فيه ... لم يكن مع «أحمد» أسلحة إلا خنجر صغير، أخرجه استعدادًا لهجوم النمر، الذي وقف يزمجر، ثم يستعد للوثب على «أحمد» ... وعندما وثب وأصبح في الهواء، دوى طلق ناري، وسقط النمر ... وعندما التفت «أحمد» إلى ناحية مصدر الطلقة شاهد «خالد» يخرج من خلف إحدى الأشجار، وهو يبتسم.

أحمد: أين «عوني»؟

خالد: إنه بخير ... نحن جميعًا هنا مع «موامبا» في انتظار «بو عمير»!

وأحسَّ «أحمد» بالقلق، ولكنه لم يستمر طويلًا، فقد ظهر «بو عمير» وهو يجري في اتجاههم وصاح به «أحمد»: لقد قمت بعمل رائع، فقد قضيت إلى الأبد على مستعمرة سادة العالم في أفريقيا!

توقف «بو عمير» وهو يلتقط أنفاسه ... وظهرت في هذه اللحظة طائرة صغيرة في الأفق ... اتجهت بسرعة إلى الشياطين، ثم نزلت بسرعة، وأخذت تطلق عليهم مدافعها الرشاشة.

وصاح «بو عمير»: انبطحوا!

وانبطح الجميع، ولكن الطائرة دارت وعادت ... وظهر «عثمان» وهو يمسك بمدفعه الرشاش، واستند إلى الشجرة، وعندما اقتربت الطائرة للإغارة عليهم مرة أخرى استخدم كلَّ ما يمكن من مهارة، وأطلق عليها دفعة من مدفعه ... وسرعان ما انطلق خيط من الدخان من الطائرة يؤكِّد أنها أصيبت واندفعت مبتعدة.

ظهر «موامبا» و«موشينجا» وقال «موامبا»: من الأفضل مغادرة المكان فورًا ... إن عندهم طائرات كثيرة!

بو عمير: لقد دمرت أكثرها في المطار الخلفي.

بعد ساعة من هذه الأحداث، كان الشياطين ومعهم «عوني» في الطائرة الهليكوبتر، يطيرون على ارتفاع منخفض، فوق المستعمرة التي كانت الانفجارات قد حطَّمَت أغلب مبانيها ... واندفعت مياه البحيرة الصناعية لتدمير الباقي.

وقال «عوني» وهو يبتسم ابتسامة واهنة: لقد قمتم بعمل رائع!

قال «أحمد»: إنك أنت الرائع، فقد كدت تفقد حياتك في حربنا ضد هذه العصابة الدموية.

أما «ميمون» فقد انهمك في أكل أصابع الموز، التي لم ينسَ أن يحضرها معه من الغابة.

هنـــداوي